العلم بين الحقيقة والوهم: نقد إرادة الحقيقة في فلسفة نيتشه

أسماء لبشارة
أستاذة مادة الفلسفة وطالبة باحثة في سلك الدكتوراه
إشراف الدكتور محمد مزيان
مختبر الإنسان والمجتمع والقيم
جامعة ابن طفيل ــ القنيطرة
المملكة المغربية

الملخص:

يتناول هذا المقال، جدلية العلم وعلاقته بإرادة الحقيقة في فلسفة نيتشه، إذ يشكل مفهوم العلم بعدا أساسيا ضمن المشروع الفكري للفيلسوف الألماني المعاصر فريديريك نيتشه؛ حيث عمل على نقد منظومة الأسس والقيم، التي تأسس عليها العلم الحديث. معتبرا أن العلم لا ينبغي أن يكون منفصلا عن الإرادة الإنسانية، ولا يمكن أن يمثل الحقيقة المطلقة والثابتة. لكون العلم مهما بلغ درجات عالية من الدقة والتجريد، فإنه لا يخرج عن كونه بناء تأويليا للواقع. إن نيتشه في خضم انتقاده للمعرفة العلمية، يتساءل عن أصل إرادة الحقيقة، أي تلك الغاية المنشودة من البحث المستمر عن الحقيقة. فارتباط الحقيقة بالعقل والمطلق وثابت، يجعلها تتحول إلى اعتقادات ميتافيزيقية تنكر الحياة، وتبخس من قيمة الفن والجسد والغريزة. ورغم تقدم العلم الحديث، إلا أنه لم يتحرر بعد من وهم الإيمان المطلق بالحقيقة، وبأنها غاية في ذاتها. لذلك، كان مسعى نيتشه هو إعادة مساءلة العلم، ومحاولة نزع عنه صفة الغاية النهائية والمطلقة؛ وصولا إلى نقد إرادة الحقيقة، التي ينبغي أن تقاس بمدى قدرتها على قبول الحياة، وإثباتها والاحتفاء بها. غير أنه لا ينبغي أن يفهم من هذا، أن نيتشه يرفض العلم كليا، كما أنه لا يدعو إلى التخلي عنه؛ بل إن موقفه يتمثل في إعادة تحديد وظيفة العلم، وقيمته انطلاقا من علاقته بالحياة.

الكلمات المفتاحية: العلم، الإرادة، الحقيقة، الحياة، الوهم

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

This article examines the question of science and its relation to the will to truth within Nietzsche's philosophy. The concept of science occupies a fundamental place in the intellectual project of the modern German philosopher Friedrich Nietzsche, who subjected the foundations and values underlying modern science to a critical examination. Nietzsche argues that science cannot be understood as entirely independent of human will, nor can it legitimately claim to embody an absolute and immutable truth.

However far science may advance in terms of precision and abstraction, it remains, in the final analysis, an interpretation of reality rather than a transparent or definitive representation of it. In his critical engagement with scientific knowledge, Nietzsche therefore raises a more fundamental question concerning the origin of the will to truth: what is the ultimate aim that lies behind the relentless pursuit of truth? For Nietzsche, when truth is conceived as grounded in reason, absoluteness, and permanence, it risks becoming a set of metaphysical convictions that ultimately deny the value of life and diminish the significance of art, the body, and instinct.

Despite the remarkable advances achieved by modern science, it has not fully liberated itself from an unconditional faith in truth, nor from the assumption that truth constitutes an absolute end in itself. Nietzsche's project, therefore, is not simply to question particular scientific claims, but to reconsider the very status and function of science and to challenge its claim to represent an ultimate and absolute end. This inevitably entails a critique of the will to truth itself. From Nietzsche's perspective, the pursuit of truth should instead be understood in relation to its capacity to affirm, embrace, and enhance life.

Ultimately, this position should not be interpreted as a wholesale rejection of science. Nietzsche does not call for the abandonment of scientific inquiry; rather, he seeks to redefine its function and to understand the value of science in terms of its relation to life. Science, in this perspective, should no longer be regarded as an absolute value detached from human existence, but as a form of knowledge whose meaning and significance must be assessed in relation to the possibilities of life it serves.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

تتخذ مقاربة نيتشه لموضوع العلم، وعلاقته بإرادة الحقيقة طابعا نقديا، تجاوز من خلاله التصورات السابقة، التي كانت تضع العلم مقابل الخطأ والوهم؛ والتي جعلت منه حقيقة مطلقة وغاية نهائية للواقع. في حين، يضع نيتشه العلم موضع سؤال، ويتسأل عن الدوافع التي تجعلنا نرغب في المعرفة، ولماذا نريد الحقيقة؟ وأين تكمن قيمة هذه الحقيقة داخل الحياة؟

لقد استلهم نيتشه، بعض الأفكار العلمية التي كانت في عصره، ليؤسس منها تصورا فلسفيا في قالب شعري ورمزي. فقد اهتم بالنظريات الفزيائية التي كانت سائدة في القرن التاسع عشر، وعلم الطاقة، الذي يرى أن الطاقة تتحول من صورة إلى أخرى؛ حيث لا تخلق من عدم ولا تفنى، وأيضا الديناميكا الحرارية، التي تهتم بانتقال الحرارة وتحولها إلى حركة. حيث استخدم هذه النظريات كوسيلة تساعد على تفسير العالم، باعتباره صيرورة دائمة ومتفاعلة مع قوى متعددة ومتصارعة، وليس باعتبارها حقائق يقينية ومطلقة. "سوف تتوفر لنا، الفرصة لنرى كيف كان نيتشه يتصور العلم الفزيائي، وعلم الطاقة والديناميكا الحرارية في عصره. ومن الواضح منذ الآن أنه يحلم بآلة نارية مختلفة تماما عن الآلة البخارية. إن لدى نيتشه تصورا معينا للفيزياء، لكنه ليس له أي طموح لأن يكون عالم فيزياء. إنه يمنح نفسه الحق الشعري والفلسفي بأن يحلم بآلات ربما حققها العلم يوما بوسائله الخاصة"[1]

لقد كان نيتشه، قريبا من التطورات العلمية التي ازدهرت في عصره، خاصة الفيزياء والديناميكا الحرارية، والطاقة وتحولاتها؛ لذلك كان لزما استحضار كيفية تعامله مع العلم، وصورة العلم في القرن التاسع عشر. إذ لا يمكن حصر مشروعه الفكري، فيما هو فلسفي وأخلاقي وفني وديني فقط. وفي صدد حديث نيتشه عن العلم، فإنه لا يتعامل مع الفيزياء، بوصفه عالم الفيزياء، يسعى لعرض نظريات فيزيائية خاضعة لقواعد وقوانين فيزيائية صارمة؛ تواجه النظريات العلمية القائمة آنذاك. بل كان يحاول الاستفادة من المفاهيم والقضايا الكبرى التي تقدمها الفيزياء، كي يؤسس عليها طرحا فلسفيا يعالج الطبيعة والحركة والتغير والقوى، قصد استخراج منها إمكانات فلسفية، تجعله يعيد التفكير في الإنسان والوجود والحياة والصدفة والصيرورة. وبالتالي فقد شكلت المعرفة العلمية في الفترة المعاصرة، أحد أهم الآليات التي اشتغل عليها مشروعه الفكري، حيث وظف بعض الأفكار والمفاهيم في متنه الفلسفي المتعلق بالحياة. مؤكدا على أنه "تتجلى اليوم شيئا فشيئا هذه القناعة بأن الفيزياء ليست سوى تأويل وتنظيم للعالم وليست تفسيرا حقيقيا للعالم"[2]. وبالتالي، فإنه يعمل على تجريد العلم التجريبي من ادعاء الموضوعية المطلقة، حيث أنها لا تستطيع أن تكشف عن جوهر العالم؛ بل تكتفي بإعادة تنظيم الظواهر صوريا، وتأويلها بما يتوافق مع الواقع الحسي حتى يسهل التحكم فيه.

إذا كان العالم، يؤطر نفسه داخل ما تسمح به خطوات البحث العلمي، اعتمادا على الملاحظة والفرضيات والتجارب والعقل والقوانين العلمية الصارمة؛ فإن نيتشه لا يضع نفسه ضمن تلك الحدود، حيث بإمكان الفيلسوف أن يستخدم الخيال والحلم واستشراف الممكنات. والمقصود هنا بالحلم، ليست تلك الحالة الذهنية التي تشتغل أثناء النوم، فتنتج رموزا وأفكارا وصورا معينة؛ وإنما يعني القدرة الفلسفية على فتح إمكانات واسعة من التفكير الحر، واستشراف إمكانات لا تزال المعرفة العلمية لم تحققها بعد. لذلك فقد حاول نيتشه استثمار العلم من الزاوية الفلسفية، متجاوزا ما تم تحصيله علميا، نحو ما يمكن تخيله واستشرافه. يبرز هذا من خلال التقابل بين العلم والحلم الفلسفي، فإذا كان العلم يشتغل وفق شروط محضة، مبنية على الإثبات والعقل والتجربة. فإن الحلم الفلسفي، يفتح آفاق جديدة للتصور.

---

[1] - Deleuze, Gilles. Nietzsche et la philosophie, Paris : Presses Universitaires de France, 1983, p 38.

[2] - Nietzsche, Friedrich, Par-delà le bien et le mal, trad. L. Weiscopf et G. Art, édité par Henri Albert, Paris: Société du Mercure de France, 1898, Aphorismes 11 §14 P 28.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

عالج نيتشه مشكلة العلم بشكل كبير، وانتقد مفهوم الحقيقة العلمية، التي اعتبرت مسلمة مطلقة وحقيقة يقينية بديلا عن الميتافيزيقا. حيث تم جعل الغاية النهائية من العلم، هي تمكين الإنسان من المتعة والسعادة وتقليل معاناته وألمه. لذلك يقر نيتشه، بأنه إذا كانت الغاية من العلم هي تحقيق أكبر قدر من المتعة الإنسانية، فإن عليه أن يتحمل أدنى قدر من الازعاج. وكما هو معروف في فلسفة نيتشه، لا يمكن فصل الفرح عن الألم، ولا فصل المتعة عن تحمل المعاناة. وبالتالي لا ينبغي فهم تحصيل السعادة من خلال التخلص من الألم، وهي الغاية التي يهدف إليها العلم. في حين يرى نيتشه، أن الإنسان في حاجة إلى الألم، كي تكون له القدرة على إدراك الفرح. "إن الغاية الأخيرة للعلم ستكون توفير أكبر قدر من المتعة للإنسان، وأدنى قدر ممكن من الألم"[1]

وظيفة العلم إذن، هي تحقيق هذا المشروع، المتمثل في تخفيف الألم وتوفير الراحة؛ والحماية من المخاطر، وسيطرة على الطبيعة. لكن الإشكال، يكمن في اعتبار هذه الشروط، هي الغاية النهائية والأسمى للعلم. حيث في المقابل، قد يكتشف العلم حقائق تكون عكس المتوقع، والتي قد تجعل الأفراد أكثر معاناة وتشاؤم؛ لأن العلم يبحث دائما عن سؤال الحقيقة. والبحث عن هذا الإشكال كالسيف ذو حدين، فقد تزيد الحقيقة من المتعة، وقد تكون أكثر ألما؛ وبالتالي قد يكون العلم ضد سعادة الإنسان؛ حيث قد يغدو خاصية مضادة للفرح، لأن المعرفة العلمية تهدم الأوهام والمعتقدات السائدة، التي كانت تريح الإنسان من التفكير، حيث كان يجد الخلاص في العالم المفارق؛ كما في التصورات الدينية والميتافزيقية، التي كانت تمنح للإنسان الحقيقة الجاهزة. إن تطور المعرفة العلمية، يهدم الحقيقة الوهمية، التي كونها الإنسان جراء منظومة القيم البالية والمتوارثة؛ وبدل من أن تمنحه السعادة والمتعة، يسقط في تجربة الألم والإحباط والعدمية.

إن التقابل بين الحقيقة والسعادة، يجعل السؤال مطروح هو: لماذا نريد الحقيقة؟ هل نرغب في الحقيقة كيف ما كانت نتائجها أم أنها تكون مرغوبة فقط حين تحقق نتائج نافعة ومرضية؟ لذلك كان من الاجدر، اختبار القدرة الإنسانية على تحمل ضغط الحقيقة، بدل من جعل غايتها خادمة للمتعة والراحة. من المؤكد، أن العلم له القدرة على توفير مجموعة من الامتيازات، كالقوة والسيطرة والتحكم والتطور. لكنه لا يستطيع أن يقرر لوحده، عن كيفية جعل الحياة جديرة بالعيش. وهنا تبرز إشكالية العلاقة بين العلم والحياة، حيث لن يقاس العلم بمعيار الحقيقة المطلقة، بل من خلال أثر ذلك العلم على الحياة؛ وعبر معرفة ما إذا كان العلم يزيد من قدرة الحياة أم يضعفها. لذلك يرفض نيتشه، جعل للحقيقة قيمة عليا منزه عن الحياة، ويؤكد على ضرورة إعادة بناء العلاقة بين العلم والحياة. فإذا كانت التصورات السابقة، تجعل الغاية النهائية للعلم، هي تبيان الحقيقة المطلقة عبر التحكم في الطبيعة؛ ما ينتج عنه من تخفيف الألم وزيادة نسبة السعادة. فإن نيتشه، يؤكد أن العلم يهدم الأوهام الميتافيزيقية، ما قد يترتب عنه من احتمال تضخم الألم والمعاناة والتشاؤم. لذلك فالإنسان الذي يمتلك إرادة قوة فاعلة، لا يهرب من الألم، بل يسعى إلى تحويله إلى طاقة خلاقة تفيض بالحياة.

يتضمن العلم بعدا نفعيا، تكون غايته هي بلوغ السعادة وتقليص الألم، غير أن هذه الغاية قد تؤدي إلى نتائج عكسية؛ بعد أن يبين العلم مكامن الخلل والضعف في الأفكار السائدة، التي كانت تقدم أوهام مريحة تجمد قدرة الإنسان على التفكير. فتصبح قوة الإنسان على الشك والنقد أكبر بعد تحرره من الأوهام، مما يزيد من حدة الوعي المأسوي، الذي قد يسقطه في نزعة التشاؤم. غير أنه لا ينبغي أن نفهم من هذا، أن نيتشه يرفض العلم، أو يدعو إلى مجاوزته؛ وإنما يدعو إلى إعادة مساءلة قيمته من منظور الحياة، وأيضا دعوته إلى البحث عن إمكانات المعرفة، في فهم الحياة ونوع الحياة التي تجعلها ممكنة.

[1] - Nietzsche, Friedrich. Le Gai Savoir, trad. Henri Albert, d'après l'édition de 1887, Les échos du Maquis, édition électronique, 2011, § 12, P58.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

إن الإنسان الحديث، بتخليه عن البعد الديني وتجاوزه للفكر الخرافي، بفضل التطور العلم؛ إلا أنه لم يتخلى كليا عن مسألة الإيمان. حيث انتقل من الإيمان الديني، إلى الإيمان بالحقيقة، خاصة العلمية، واعتبارها هي اليقين الحتمي؛ لأن العلم يقوم على مجموعة من الخطوات المنظمة والصارمة؛ لذلك فإنه لن يقبل أي فكرة تكون خارج منطق العقل والتجربة. "إن العلم الحديث، بوصفه ضرب أصيل من فلسفة الواقع، هو لا يؤمن على نحو جلي إلا بذاته، وعلى نحو جلي هو يملك الشجاعة على أن يكون ذاته ويملك إرادة أن يكون ذاته، حيث استطاع حتى الآن، أن يستغني تماما عن الله، وعن العالم الآخر، وعن الفضائل السلبية"[1]. غير أن نيتشه يطرح سؤال راديكالي، هو لماذا نرغب في الحقيقة؟ ولماذا يشكل بلوغ الحقيقة غاية في ذاتها؟ بدل من سؤال هل العلم صائب أم خاطئ؟ فالعالم يمكن أن يبحث عن حقيقة علمية معينة، وأن يخضعها لتجارب واختبارات ويتأكد من صدقها أو خطئها. لكن نيتشه، ينظر إلى الدوافع التي تجعلنا نعتبر البحث عن الحقيقة قيمة أسمى، وعن سبب تفضيل الحقيقة عن الخطأ؛ ثم البحث عن الداعي وراء رفض الوهم، حتى وإن كان أكثر فائدة ومنفعة، وتحصين للإنسان من الألم والمعرفة؛ ويعتبر أن هذه الأمور ترتبط بقيمة إرادة المعرفة والحقيقة.

من هذا المنطلق، يبرز مفهوم إرادة الحقيقة، حيث لا يكتفي الإنسان بامتلاك المعرفة؛ وإنما يريد الحقيقة. حيث يبدو أنه "لا شيء ضروري مثل الحقيقة وبالنسبة إليها لا يمتلك كل ما عداها إلا قيمة ثانوية. هاته الإرادة المطلقة للحقيقة"[2] لكن لا ينبغي اعتبار الإرادة شيئا بديهيا ليس في حاجة إلى التفسير، لذلك يبين نيتشه أن خلف التصورات التي تبدو علمية وعقلانية خالصة، اختيارا قيميا لم تتم مساءلته بالشكل المطلوب؛ حيث يتم الاعتقاد بأن للحقيقة قيمة مطلقة منفصلة عن الحياة. لذلك يطرح قضية الوهم والخداع، لأننا في العادة نرفض الخداع لأنه سيئ، ونقبل الحقيقة باعتبارها جيدة وكأنها قاعدة واضحة بذاتها. لكن من المفروض حسب نيتشه، أن نتساءل عن أساس هذه البداهة، فقد تكون مسألة رفض الخداع منبثقة من اعتبارات أخلاقية وثقافية، أو لأنه يهدد الوجود الإنساني. فهي أسباب توحي بأن المسألة ترتبط بقيم وشروط الحياة، وليست مجرد نتائج منطقية تقر بأن للحقيقة قيمة في ذاتها.

تبرز مفارقة أساسية، تتجلى في أن الحقيقة أحيانا يمكن أن تلحق الأذى بالحياة، وقد يجعل الوهم من الحياة محتملة وممكنة؛ خاصة في حال تعرض الإنسان لحقيقة مؤلمة ومدمرة، هنا يساعده الوهم على تدارك الموقف، وعلى الاستمرار في الخلق والابداع والتفاؤل. فهل تعطى الأفضلية هنا للحقيقة لمجرد أنها حقيقة؟ لذلك حاول نيتشه إخضاع قيمة الحقيقة ذاتها للتقييم، والتساؤل عن علاقتها بالحياة وعن الآثار المترتبة عنها. فالمعرفة ليست فعلا محايدا مستقلا عن الحياة، بل مرتبطة بإرادات وقيم ودوافع. لذلك كان لزاما، البحث عن القوة التي تدفع الإنسان لطلب المعرفة، وعن القيمة التي يمنحها لها وعن مدى علاقتها بالحياة؛ وهو ما أدى بنتشه في نقده للمعرفة، إلى الانتقال من نقد الحقيقة باعتبارها مسألة نقدية، إلى نقد الحقيقة بكونها قيمة. "إن العالم المثالي الذي يمثل غريزة البحث العلمي... ليس سوى أداة، ولنقل أنه مجرد مرآة، وليس هو الغاية ذاتها"[3]، العالم هنا بمثابة مرآة تعكس المعطيات الخارجية وتستجيب لها وبالتالي يجرده من القدرة على صنع الغايات.

---

[1] - Nietzsche, Friedrich. La Généalogie de la morale, trad. Henri Albert, 3e édition, Vol. 11, Œuvres complétes de Nietzsche, Paris Mercure de France, 1990, § 23 P 252.

[2] Nietzsche, Friedrich. Le Gai Savoir, Op. Cit. § 344 p 180.

[3] - Nietzsche, Friedrich. Par-delà le bien et le mal, Op. Cit, §207 P 148.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

يؤكد نيتشــه، على أن الاعتقادات الإيمانية، بقيت حاضــرة داخل العقلانية الحديثة؛ رغم اختفاء الإيمان بالمنظور الديني، لكن بقي الإيمان بالقيمة العليا للحقيقة وبأهمية بلوغها. حيث إن الإنســان الحديث، ظل حبيســا لكل أشــكال الإيمان، لكونه ما زال يؤمن بالحقيقة ويجعل لها قيمة مطلقة. لذلك، عمل نيتشــه على قلب العلاقة الســابقة بين الحقيقة والحياة، عبر التســاؤل عن قيمة الحقيقة بالنسبة للحياة؛ حيث يرفض الحقيقة التي تعتبر قيمة أسمى، ولا تخضع لمنطق المساءلة. وبدل ذلك البحث عما تفعله إرادة الحقيقة بإرادة الحياة، إذ ينتقل نيتشه من نقد المعرفة العلمية، إلى نقد كلي وجذري للقيمة، التي تجعل المعرفة نفسها غاية.

يتبين مما سبق، أن المشكلة لا تكمن في الحقيقة وإنما في قيمة الحقيقة، حيث يعتبر أن السؤال الجوهري ليس فقط عن أصل الحقيقة؛ وإنما عن قيمة تلك الإرادة نفسها. حيث أن هدف العلم هو الوصول إلى الحقيقة، ورفض الخطأ والمعتقد والوهم، دون فهم المغزى من هذا التصــور. ليطرح إشــكال، ما الذي يجعل من الحقيقة شــيئا مرغوبا فيه؟ ولماذا يجب أن تكون أكبر قدرا من الخطأ والوهم؟ لقد وضع نيتشه، قضية قيمة الحقيقة موضع سؤال، باستخدامه للمنهج الجينالوجي، الذي يعمل على تفكيك هذا المفهوم. مؤكدا على أن بعض الأحكام التي نعتبرها ضــرورية للعقل، قد تكون من جهة مطابقة الواقع خاطئة، لكن مع ذلك تكون ضــرورية للحياة؛ حيث أن الإنسان قد يحتاج لأوهام وافتراضات، كي تكون له القدرة على العيش والتصرف. وبالتالي لا ينبغي رفض الخطأ، فقد يكون شرطا من شروط الحياة. غير أنه لا ينبغي أن يفهم من موقف نيتشه، على أن كل خطأ مقبول وجيد، ولا أن كل حقيقة منبوذة وخاطئة، ولا أن الأوهام ضــرورية للعيش. بل المقصــود، هو أن كل من الخطأ والحقيقة والوهم، لا يمكن تقيمهم من خلال المطابقة المنطقية فقط ؛ حيث ينبغي التســاؤل عن قيمتهم بخصــوص الحياة، أي أن نتســأل عن ما إذا كان الرأي حافظا للحياة، وعاملا مساعدا في نموها واستمرارها. فإذا اعتقد الإنسان أن الحقيقة مطلقة، وتخلى بسببها عن القيم والأوهام والمعتقدات التي تجعل الحياة محتملة، حينئذ تتحول الحقيقة من قوة كاشفة، إلى قوة عدمية تنفي الحياة وتنكرها.

إن العلم حســب نيتشــه، رغم تجاوزه للفكر الســائد غير القابل للتجربة، لازال لم يتحرر كليا من مســألة الإيمان، أي الإيمان بقيمة الحقيقة. "لا يزال العلم بعيدا عن أن يعتمد فيه على نفسه كفاية، فهو ذاته بحاجة قبل من كل الجوانب إلى مثل أعلى للقيم، إلى قوة خلاقة للقيم، يســتطيع أن يخدمها وتمنحه الإيمان بنفســه، إذ هو في ذاته لم يكن أبدا خلاقا للقيم"[1]. يعتبر نيتشــه أن العلم يفتقر بذاته إلى القدرة الفاعلة على خلق القيم، فالعلم لا يستطيع أن يبرر لماذا نشتغل به، وليست له القدرة على منح الوجود معنى وقيمة، إن الاســراف في البحث عن الحقيقة ومحاولة بلوغها يكشــف عن الطابع المشــترك بين العلم والمثل الزهدي*. حيث يتعامل العلم مع الحقيقة باعتبارها قيمة مطلقة، وتنفي التشــكيك وترفض الخداع، وهو ما يتماشــى مع الإيمان اللاهوتي الذي يســير وفق نفس المنحى. إذ تحضر الأخلاق الزهدية في سلوك العالم ذاته، تتجسد في غياب تام لذاتية، والتجلي القوي للموضوعية الصارمة، والتضحية بالغرائز والرغبات والصبر؛ هي كلها أمور تعد امتداد للتسامي. إن العلم عند نيتشه، لا يستطيع أن يكون غاية في ذاته، حيث تكون له القدرة على إنتاج المعرفة العلمية؛ غير أنه عاجز على أن يحدد ما الذي ينبغي أن نعده ذا قيمة، أو البحث عن ســؤال الغاية من العيش. لذلك فهو في حاجة دائمة إلى قوى أخرى تخلق قيم جديدة، وتمنح معنى للمعرفة العلمية. إن وضــعية الإنسان الحديث، لم تخرج عن نطاق الإيمان، رغم ادعائه أنه تخلص من الميتافيزيقا والدين، لأنه حسب نيتشه تم تجاوز الإيمان الديني فقط، لكنه لم يتجاوز القيم التي صنعها ذلك الإيمان.

---

[1] Nietzsche, Friedrich. La Généalogie de la morale, troisième dissertation Op. Cit § 25.

* المثل الزهدي هو منظومة القيم التي تنكر الحياة وتبخس من قيمة الجسد والغريزة لصالح غاية نهائية أو العالم المفارق كإرادة الله والعقل الخالص والحقيقة المطلقة.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

المصادر والمراجع:

- Nietzsche, Friedrich. Le Gai Savoir, trad. Henri Albert, d'après l'édition de 1887, Les échos du Maquis, édition électronique 2011.
- Nietzsche, Friedrich. La Généalogie de la morale, trad. Henri Albert, 3e édition, Vol. 11, Œuvres complètes de Nietzsche, Paris Mercure de France, 1990.
- Nietzsche, Friedrich. Par-delà le bien et le mal, trad. L. Weiscopf et G. Art, édité par Henri Albert, Paris: Société du Mercure de France, 1898.
- Deleuze, Gilles. Nietzsche et la philosophie, Paris : Presses Universitaires de France, 1983.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/